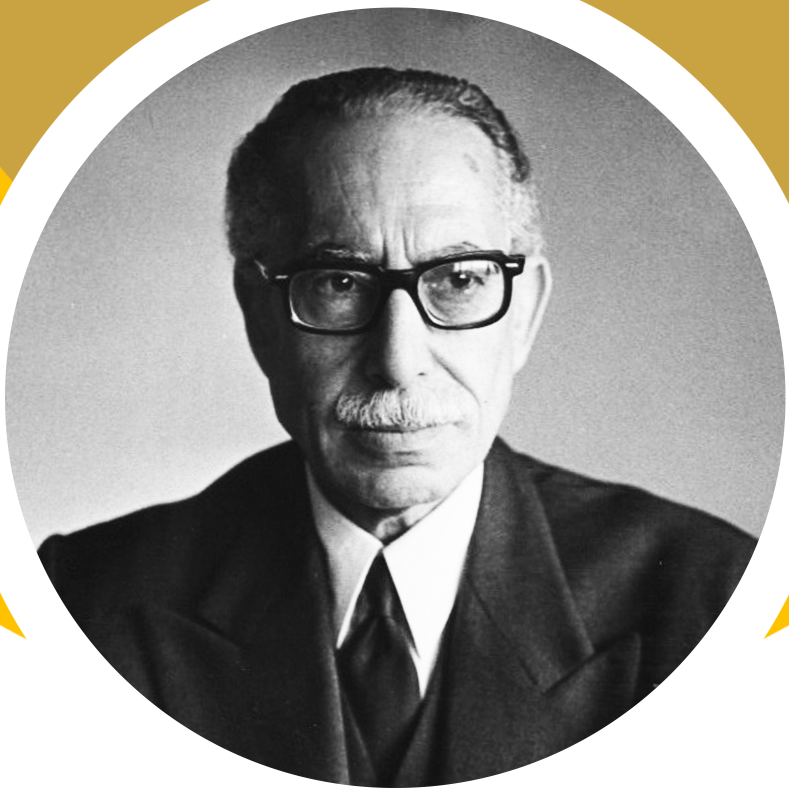

بين الحرب والسلام

توفيق الحكيم

بين الحرب والسلام

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

بين الحرب والسلام

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٢ ٠٠ ٣٩٠٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٥١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٦.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

بين الحرب والسلام

(حجرة خاصَّة لسيدة تُدعَى «السياسة» ... بها فُرُش وثيرة، وأثاث للزينة ذو مرايا عديدة، وُضِعت عليه الأدوات والأصباغ! ... ثم خزانة ملابس ضخمة ... في صدر المكان مصباح ورديٌّ يضيء الحجرة إضاءةً شعريةً شاحبةً، في ذلك المساء ... والسيدة جالسةٌ إلى مرآة الزينة تَطلِي شفتَيها بالأحمر ... وقد جلس على مقربةٍ منها رجلٌ حسن المنظر، تبدو عليه الدَّماثة واللطف، يُدعَى «السلام».)

السلام (ناظرًا إليها مليًّا): تُحبِّين الزينة فيما أرى!

السياسة (بدون أن تلتفت إليه): عادة! ... عادة قديمة!

السلام: نعم! ... ويا لها من عادة! ... ولكن الغريب أنكِ تستخدمين أصباغكِ هكذا علنًا!

السياسة: لقد أصبح من السذاجة أن نُخفِي ما يعرفه الجميع!

السلام: حتى أمامي؟! ... وفي حضوري؟! ... تفعلين ذلك ولا تجدين حرجًا؟!

السياسة: هذا خيرٌ من أن تراني قبيحة!

السلام: قلتُ لكِ يا عزيزتي ألف مرة: إني أُحبكِ على حقيقتكِ!

السياسة: أتظنُّ ذلك؟!

السلام: أُقسِم لكِ! ... ولكنكِ لا تثقين بقسَمي! ... إنكِ باردة القلب، لا تؤمنين بحبٍّ! ... ولكني أنا أُومن بأني لا أستطيع أن أعيش إلَّا بكِ!

السياسة (وهي تنظر في المرآة بدلالٍ): ألفاظٌ أسمعها كثيرًا!

السلام: تسمعينها كثيرًا؟! ... ممَّن؟ ... مِن غيري؟ ... مِن زوجكِ؟!

السياسة (بغير مبالاةٍ وهي تُسوِّي أحمر شفتَيها): نعم! ... مِن زوجي أيضًا!

السلام: زوجكِ! ... هذا الفظُّ الغليظ! ... هذا الثقيل المدعوُّ «الحرب»! يستطيع مثلُه أن ينطوي على شعور رقيق؟!

السياسة (وهي تتناول إصبع الأحمر): إنه يقول هو الآخَر إنه لا يستطيع أن يعيش إلَّا بي!

السلام: يُحبُّكِ إلى هذا الحد؟!

السياسة (بدلالٍ): أَتَغارُ منه؟!

السلام: إني أَمقُتُه! ... أَمقُتُه!

السياسة (باسمةً): لا شكَّ أنه يُبادِلكَ عين الإحساس!

السلام: حَذارِ أن يكون قد ارتاب في وجود علاقة بيني وبينكِ!

السياسة: أتريد أن أَصدُقكَ القولَ؟

السلام (صائحًا): يا للكارثة! ... أَقُلتِ له؟!

السياسة: أأنا مجنونة؟! ... اطمئن! ... هدِّئ روعكَ!

السلام: ماذا يعلم عني؟!

السياسة: يعلم فقط أنكَ تُغازِلني من حين إلى حين.

السلام: أُغازِلكِ؟!

السياسة: هذا ما لم يكن في الإمكان إخفاؤه ... وهذا ليس ذنبي أنا يا عزيزي! ... فقد ضَبَطَكَ وأنت تطلبني بالتليفون ذات مرة، ثم ضَبَطَكَ يومًا تقف في الطريق أمام باب البيت، وتتطلَّع إلى نافذتي، وتُصفِّر بفمكَ أغنيتَكَ المعهودة؛ فلمَّا رأيتَه يُقبِل نحوكَ هربتَ ... أليس كذلك؟ ... ثم ضَبَطَ أخيرًا هديتكَ إليَّ التي سلَّمتَها للبوَّاب! ... أزهار المشمش البيضاء، المُتفتِّحة على أغصانها ... تذكرة بحلول الربيع.

السلام: هل سألكِ عني؟!

السياسة: بالطبع! ... وأجبتُه: شابٌّ «يُعاكِسني» ولا حيلة لي في منعه ... أليس هذا خير مَخرج؟!

السلام: وماذا قال عندئذٍ؟!

السياسة: لم يَقُل شيئًا ... زمجر فقط، ثم همَسَ من بين أسنانه: أرجو أن يقع يومًا في قبضتي هذا الشاب، بغصنه الأبيض ... وأُهشِّم رأسه، وأكسر عُوده!

السلام (مرتعدًا): الله يبشرك بالخير!

السياسة (باسمةً): هل خِفتَ؟

السلام (ملتفتًا إلى الأبواب المغلقة): أأنتِ واثقة أنه الليلة مسافر؟!

السياسة: أَبَلَغَ بي الهوس أن أدعوك إلى حجرتي ليلقاك زوجي ويُهشِّم رأسك الجميل؟!

السلام: ربما كان يسُرُّكِ هذا المنظر!

السياسة: إنكَ لا تعرفني أيُّها العزيز، ولا تعرف ما يسُرُّني، وما يَسُوءُني!

السلام: أعرف، على الأقل، أنَّ وجودي معكِ لا يَسُوءُك كثيرًا!

السياسة: ما دمتَ تعرف ذلك، فَفِيمَ القلق؟!

السلام: كيف لا أقلق وأنا أُحبكِ؟! ... إني أعرف كل ما في قلبي ... ولكني لا أعرف كل ما في قلبكِ ... مَن أدراني أنكِ لا تعبثين بي؟!

السياسة: وما مصلحتي؟!

السلام: وهل من السهل فَهْمُ مصلحتكِ؟! ... أليس من المُحيِّر للعقل أن ترضى فاتنةٌ ذكيةٌ، لَبِقةٌ مثلُكِ، بهذا الثقيل الفظِّ زوجًا؟!

السياسة: هذا الزواج، على كل حال، لم يَقُمْ على الحب والغرام!

السلام: أنتِ إذن لستِ سعيدةً معه؟

السياسة (تتنهَّد): سعيدة!

السلام: إني أَرثِي لكِ يا عزيزتي ... وأتمنَّى لو أُنقِذكِ مما أنتِ فيه ... إني طوع أمركِ ... كلمة من بين شفتَيكِ، وأنا أحملكِ بعيدًا عن هذا الوحش!

السياسة: كيف تستطيع ذلك؟

السلام: المسألة في غاية البساطة ... نهرب معًا، ونترك له البلد، ونسافر إلى أيِّ مكان!

السياسة: هكذا على رءوس الأشهاد! ... تريدها إذن فضيحةً! ... إنك لا تعرفني ... إنِّي، أيها العزيز، أكره الفضائح المكشوفة!

السلام (يُفكِّر قليلًا): هناك حلٌّ آخَر! ... ولكنَّه يتوقَّف على هِمَّتكِ أنتِ أولًا!

السياسة: ما هو؟

السلام: واجهي زوجكِ بكل صراحةٍ، وقولي له بكل شجاعةٍ: إني لا أحبكَ ولا أحتمل قربكَ ... ولا ينبغي لي أن أَقرِن حياتي بحياتكَ ... ولا يجوز أن يعيش أحدُنا مع الآخَر تحت سقف واحد! ... وإنه لم يَبْقَ هنالك مَفرٌّ من الطلاق!

السياسة: الطلاق؟!

السلام: نعم! ... هذا ما ينبغي أن تسعَي إليه وتُلحِّي فيه؛ لتتخلَّصي من هذا الزوج!

السياسة: لا داعي إلى السعي والإلحاح ... هذا لا يُكلِّفني أكثر من كلمة ... إنَّ بيني وبينه رِهانًا ... لَعِبنا بالأمس لعبة «يدس» ... أتعرف لعبة «اليدس»؟!

السلام: لا.

السياسة: هي لعبة بسيطة: كلٌّ منا يحاول أن يعطي الآخَر شيئًا؛ فإذا أخذه ساهيًا ناسيًا ولم يَقُل «في بالي»، أسرع الآخَر قائلًا «يدس»، وأَملَى شروط انتصاره ... إني واثقةٌ من أني سأنتصر عليه ... وهنا أستطيع أن أجعل شرط انتصاري أن يمنحني الطلاق! ... أرأيتَ كيف أنَّ هذا أمر لا يُكلِّفني أكثر من كلمة؟!

السلام (يفرح): إذن أسرعي! ... والله معنا!

السياسة: وبعدئذٍ؟

السلام: أتزوَّجُكِ أنا ... ونعيش معًا أخيرًا في سعادة حقيقية دائمًا!

السياسة (باسمةً): شيء جميل حقًّا!

السلام: أليس هذا هو خير حل؟!

السياسة: يا لكَ من ساذج أيُّها العزيز!

السلام (مصدومًا): ماذا تقولين؟

السياسة: يُطلِّقني هو لتتزوَّجني أنتَ؟!

السلام: أترفضين؟!

السياسة: لستُ أرفضكَ أنتَ؛ فأنتَ تعرف شعوري نحوكَ! ... إنك تريد أن تكفل لي السعادة ... وربَّما كانت السعادة حقًّا في كنفي ... من يدري؟! ... ولكن هل من حقِّي أنا أن أفكِّر في السعادة وأتحدَّث عنها؟! ... وهل أنا أهلٌ لها؟! ... إني خائفة!

السلام: خائفةٌ مني؟!

السياسة: خائفةٌ من المستقبل!

السلام: وهل زوجكِ هذا هو الذي يُشعِرك بالأمن والاطمئنان على المستقبل؟!

السياسة: إنه، على كل حال، ذو سلطان، وقوة، ونفوذ!

السلام: نعم! ... هذا صحيح! ... إنكِ تعتمدين على قوته في تحقيق كثير من مَطالبكِ، وتنفيذ كثير من أغراضك ... ولكنَّ السعادة! ... السعادة! ... السعادة!

السياسة (تتنهَّد): آه! ... نعم! ... يا للحلم الجميل!

السلام: لا بد لنا من التضحية بأشياء لنَظفَر بأحلامنا الجميلة!

السياسة: ولكنَّ الأحلام الجميلة يجب أن تكون قصيرةً؛ كهذه الأُوَيْقَات التي نقضيها معًا، ونختلسها من الدهر اختلاسًا! ... إنها لذيذة لأنها نادرة ... تأتي في فترات كأنها النَّسَمات في أيام الحر الشديد! ... بالله عليكَ أيها العزيز! ... لا تُضيِّع هذه اللحظات في مثل هذا الكلام غير المُجدِي! ... دعني ألبس لك أبدع ثيابي؛ لأكون جديرةً بهذه السهرة معك! (تنهض وتتجه إلى خزانة ثيابها وتفتحها) ... ماذا تحب أن ألبس هذه الليلة؟!

السلام (يُلقِي نظرة طويلة إلى ما في الخزانة): كل هذه الأثواب لكِ؟!

السياسة: إني أُحب التغيير والتبديل!

السلام: يا لكِ من امرأة!

السياسة (باسمةً وهي تستعرض أثواب الخزانة): خمِّن! ... كما أن المرأة هي التي تصنع الثوب ... وكل ساعة في حياة المرأة لها ثوبها!

السلام: تُرَى ما هو الثوب الذي يليق بهذه الساعة التي نحن فيها؟!

السياسة (باسمةً): إن الثوَّاب هو الذي يصنع المرأة!

السلام (يُرهِف الأذن، وقد سمع حركةً في الخارج): أَسَمعتِ؟!

السياسة (تلتفت إليه): ماذا؟

السلام: صوت باب يُفتَح ويُغلَق!

السياسة: أأنت متأكدٌ؟! ... إذن هو زوجي قد عاد!

السلام (ناهضًا مضطربًا): زوجكِ؟! ... والعمل الآن؟

السياسة: هدِّئ روعكَ ... واختبئ حالًا!

السلام (يلتفت حوله مضطربًا): أين؟ ... أين؟

السياسة (تلتفت باحثةً): أسرِع إلى ... إلى ... إلى خزانة ثيابي هذه .... وسأُغلِق عليك بالمفتاح ... هذا آمَنُ موضعٍ!

السلام (يهرع إلى خزانة الثياب): أَنقذِيني سريعًا من هذه الورطة ... أرجوكِ!

(تغلق عليه باب خزانة الملابس بالمفتاح، ثم تُخفِي المفتاح في صدرها ... ولا يَمضي قليل حتى يُفتَح باب الحجرة، ويظهر الزوج «الحرب»، حاملًا طاقةً من زهر المشمش الأبيض في أغصانه.)

الحرب (مُقدِّمًا الطاقة إلى زوجته): إليكِ يا عزيزتي طاقة من زهر المشمش الذي طلع في هذه الأيام ... إني، كما تَرَين، لا أخلو من شعور لطيف نحوكِ!

السياسة (دون أن تَمُدَّ يدها): أشكرك! ... هذا حقًّا لطف منك ... ولكن ... لماذا عُدتَ الليلة قبل موعدك!

الحرب: أعرف أنك لا تُحبِّين أن أُفاجئكِ!

السياسة: أُحبُّ مجيئك في الوقت المرسوم لك! ... وهكذا الزوج المثالي!

الحرب: إني دائمًا كنتُ لكِ زوجًا مثاليًّا! ... أتُنكِرين ذلك؟! ... ولكني الليلة جئتُ في وقت لا تتوقَّعينه؛ لأُقدِّم لك خصوصًا هذه الطاقة!

السياسة: نعم! ... فهمتُ! ... شكرًا لكَ يا عزيزي!

الحرب (مُقدِّمًا إليها الأزهار): لماذا لا تأخذينها من يدي؟!

السياسة (وهي تأخذها): آخذها من يدكَ؟ ... ولكن: «في بالي»!

الحرب: يا لكِ من ماكرة!

السياسة (باسمة): أتظنُّ أني ضعيفة الذاكرة مثلكَ؟! ... إني لا يمكن أن أنسى الرِّهان الذي بيننا.

الحرب: أُفٍّ! ... ضيَّعتِ عليَّ لذة الانتصار عليك!

السياسة: جئتَ إذن الآن كي تعطيني الطاقة! ... آخذها من يدك ساهيةً لاهيةً ناسيةً!

الحرب: وأقول لكِ عندئذٍ «يدس»!

السياسة (ضاحكةً): يا لكَ من ساذج!

الحرب (يتأمَّلها): كنتِ تتزيَّنين فيما أرى.

السياسة: نعم! ... لأشغل وقتي.

الحرب: لعلكِ كنتِ على وشك الخروج!

السياسة: فكرتُ في هذا فعلًا.

الحرب: وحدَكِ؟!

السياسة: ما هذا السؤال؟!

الحرب: عفوًا ... ما قصدتُ قَطُّ الإشارة إلى شيء ... إنما هو مُجرَّد حبِّ استطلاع!

السياسة: حبُّ الاستطلاع إذا صدر من زوج، فإنه يُسمَّى باسم آخَر!

الحرب: ماذا يُسمَّى؟!

السياسة: يُسمَّى أحيانًا «الارتياب»، وأحيانًا «الغَيرة»!

الحرب: ما الذي يجعلك تظنِّين أني أرتاب فيكِ أو أغار عليكِ؟!

السياسة: زهر المشمش المتفتح يهمس في أذني! ... ما الذي ذكَّركَ بأزهار المشمش بالذات؟ ... هذا الزهر الأبيض النابت على غصنه!

الحرب: ما هذا السؤال؟!

السياسة: عفوًا ... إني ما قصدتُ الإشارة إلى شخص بعينه! ... إنما هو محض استنتاج!

الحرب: مع احترامي لفرط ذكائكِ، وبراعة استنتاجكِ؛ فإني أؤكِّد لك أن ذلك الشاب الذي تقصدينه لا يستطيع أن يحرِّك في رأسي شعرة.

السياسة: أيَّ شاب تعني؟! ... آه! ... تعني ذلك الشاب الذي قلتُ لكَ إنه يغازلني، ولا حيلة في منعه!

الحرب: إنه لا يستحقُّ منِّي مُجرَّد التفكير في وجوده!

السياسة: حسنًا فعلتَ يا عزيزي! ... إن التفكير في أمره مُتعِب ... فهو شديد الإلحاح، والإصرار، والعناد! ... تصوَّر أنَّه صنع المستحيل حتى تمكَّن من دخول هذه الحجرة!

الحرب (في صيحةٍ): دخل هذه الحجرة؟! ... متى؟

السياسة: الليلة ... في غيبتك!

الحرب: أَوَقَابَلَكِ؟!

السياسة: طبعًا!

الحرب: أَوَحَادَثَكِ؟!

السياسة: طبعًا!

الحرب (يتأمَّل زينتها وأصباغها): وكيف إذن كنتِ تفكرين في الخروج؟! ... لعلكِ كنتِ خارجةً معه!

السياسة: طبعًا!

الحرب (صائحًا): ما هذا الكلام يا امرأة؟! ... أتَرَين من الطبيعي أن تخرجي مع هذا الشاب العاشق ليلًا؟! ... وفي غَيبتي؟! ... ومِن وراء ظهري؟!

السياسة: لستُ أدري ما الذي جرى لعقلي في تلك اللحظة! ... لقد استهواني حقًّا وسلب لُبِّي!

الحرب: سلب لُبَّكِ؟!

السياسة: بل على الأصح؛ شرح لي وجهة نظره شرحًا فيه كثير من الصدق والإخلاص!

الحرب: وتركتِه يتكلَّم؟ ... واستمعتِ إليه؟!

السياسة: طويلًا ... وبكل هدوء!

الحرب: يا للعجب! ... أَوَلَم تُلْقِي به من النافذة؟!

السياسة: إني لستُ مثلكَ؛ أتصرَّف بقبضتي!

الحرب: بل تُصغِين، وتُحسنين الإصغاء! ... نعم! ... أخبريني، من فضلكِ، ما هو ذلك الكلام الجميل الذي قاله لكِ؟!

السياسة: قال لي إنه يحبني، ولا يستطيع أن يعيش بدوني، ويريد أن يهرب معي.

الحرب: يهرب معك؟!

السياسة: بعيدًا عنكَ ... ليمنحني السعادة التي لا يمكن أن أعرفها معكَ، أو ألقاها في كنف خُلُقكَ الفظِّ، وظلِّكَ الثقيل!

الحرب (ثائرًا): يا للشقي!

السياسة: هدِّئ روعك أيها العزيز!

الحرب (صائحًا): أُهدِّئ روعي؟! ... كيف يهدأ روعي بعد الذي سمعتُ؟! ... يهرب معكِ؟ ... يخطفكِ مني؟ ... هذا الشاب السخيف الضعيف، الذي لا يتحمَّل نفخةً مني يصير بعدها رمادًا ... يذهب بكِ؟ ... بعيدًا عني؟ ... وكيف يستطيع أن يأخذكِ من زوجكِ؟ ... أَنَسِيَ هذا الأحمق أني زوجكِ؟!

السياسة: توسَّلَ إليَّ أن ألتمس منكَ الطلاق!

الحرب: الطلاق؟!

السياسة: ليتزوَّجني مِن بعدكَ!

الحرب: أهو مجنون؟!

السياسة: بل هو في تمام عقله، وهو يعتقد بكل إخلاص أنه أحقُّ منكَ بي ... وأن زواجي منكَ غلطةٌ لا تُغتفَر!

الحرب (صائحًا): وأنتِ؟ ... أنتِ؟! ... أنتِ؟! ... أتركتِه يقول كل هذا، دون أن تصفعيه؟!

السياسة: إني أترك مهمة الصفع لكَ أنت؟!

الحرب: الآن! ... بعد أن تركتِه يفرُّ ... هذا الجبان؟!

السياسة: ومَن قال لكَ إنه فرَّ؟

الحرب: لم يَفِرَّ؟! ... أين هو إذن؟

السياسة: في قبضتكَ؟

الحرب (صائحًا): لستُ أفهم ... أَفْصِحِي!

السياسة: إنه هنا الآن في هذه الحجرة.

الحرب (منفجرًا): هنا؟! ... أين؟ ... أين؟ ... دُلِّيني على مكانه! ... أسرِعي! ... لأُحطِّمه وأُبيده من الوجود ... أين هو؟!

السياسة: هنا ... داخل خزانة الملابس!

الحرب: في خزانة ثيابكِ!

السياسة: نعم! ... احتَلْتُ عليه حتى أدخلتُه فيها ... وحبستُه داخلها كالفأر في المصيدة، إلى أن تأتي.

الحرب (صائحًا): سُحقًا لهذا الفأر السامِّ! ... سأطحن عظمه بلحمه! (يهجم على الخزانة ويَهُزُّ بابها) ... إنها مغلقة بالمفتاح، أين المفتاح؟!

السياسة: المفتاح معي!

الحرب (صائحًا مادًّا يده): هاتي!

السياسة (تُخرِج المفتاح من صدرها وتعطيه إياه): خذ!

(الحرب يأخذ المفتاح من يدها وينطلق هاجمًا على الخزانة.)

السياسة (تصيح): «يدس!»

الحرب (يقف في الحال مصدومًا): يا لي من أحمق!

السياسة (في لهجة الظَّفَر): أرأيتَ؟! ... ألم أَقُل لك إنك لن تظفَر بالرِّهان!

الحرب: أَلَفَّقْتِ واخترعتِ كلَّ هذه الحكاية الطويلة العريضة لتحتالي عليَّ وتتوصَّلي إلى تسليمي هذا المفتاح؟! ... إليكِ مفتاحكِ اللعين ... أيَّتها الماكرة! (يُلقِي بالمفتاح على الأرض.)

السياسة: ليس هذا كل ما عليكَ أن تفعل!

الحرب: ماذا تريدين أن أفعل؟!

السياسة: تنفِّذ الشروط!

الحرب: ماذا تطلبين؟

السياسة: أطلب ... أطلب ... الـ...

الحرب: تكلَّمي!

السياسة (تُفكِّر): أطلب! ... عقدًا من اللؤلؤ الحر، طويلًا مزدوجًا من صفَّين ... أُزيِّن به صدري!

الحرب: غدًا عندما تفتح الحوانيت، أُحضِر لكِ ذلك!

السياسة: الآن، لا بد أن نشرب معًا نخب انتصاري ... انزل بسرعة يا عزيزي، وأَحضِر من عند البقَّال المجاور زجاجة «شمبانيا» فاخرة!
الحرب: أمركِ!

(يخرج مسرعًا طائعًا، ولا يكاد يخرج ويختفي، حتى تسرع هي فتلقط المفتاح من على الأرض، وتُبادِر إلى فتح خزانة الملابس.)

السياسة (للسلام وهو داخل الخزانة)**:** الآن ... اخرج أيها العزيز! ... بسلام!

(السلام يخرج شاحب الوجه.)

السياسة: ما هذا الشحوب يا عزيزي؟!
السلام (بصوت ضعيف)**:** أَوَتريدين أن يكون في جسمي قطرة دم؟!

(يتجه إلى الباب.)

السياسة: أتذهب؟!
السلام: بجلدي! ... قبل أن يحدث مكروه!
السياسة (وهي تُشيِّعه إلى الباب)**:** إلى اللقاء ... أيُّها العزيز ... سأشرب الآن في صحتكَ!
السلام (كالمخاطب نفسه)**:** يا لكِ من امرأة!

(يخرج سريعًا دون أن ينظر إليها.)

هنـــداوي